بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه



الحلقة السادسة

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

كنت في الحلقات الخمس السابقة قد تعرضت للرد على الملحدين النفاة، وذكرت أمثلةً من المهتدين الذين من الله عليهم بالهداية بعد الإلحاد، وأود هنا أن أنتقل للجزء الثاني من حديثي حول دوافع الإلحاد.

ودوافع الإلحاد عديدة، وقد يكون منها الشك.

وهذا الشك قد يثيره المدرس صاحب الغرض، وفي غياب المرشد الواعي قد يتبلبل التلاميذ، فأذكر أن أحد المدرسين في المدرسة الثانوية، كان يلقي شبهات من أمثال: المسلم قد يتشكك بسبب تقبيل الحجر الأسود، والمسيحي قد يتشكك بسبب الأكليروس.

وكان معي في الكلية مجموعة من الشيوعيين، وكانوا لا يخفون علي، وأذكر أن أحدهم حاول أن يجرب معي، فقال ما معناه: هل إسباغ الوضوء هو الدين، مثل من يقول: ويل للأعقاب من النار.

والشك دواءه العلم وسؤال أهل الذكر، مع إخلاص القصد في طلب الحق.

***

إلا أن دوافع الإلحاد لا تنحصر في الشك فقط، بل بالإضافة للشك، هناك ما هو أهم منه، فمن ذلك: الكبر وعبادة النفس والزهو، كما نقلت عن الدكتور مصطفى محمود، قوله:

"وتغيب عني في تلك الأيام الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل. إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج –التي انفردت بها– كان هو الحافز دائمًا، وكان هو المشجع، وكان هو الدافع، وليس البحث عن الحقيقة. لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي".

***

– وهناك الانبهار بثقافة الأجنبي مقرونًا بضعف العلم الشرعي.

فالدكتور عبد الوهاب المسيري ذكر مثلًا في ص: ١٣٢ من كتابه (رحلتي الفكرية) أنه في مرحلة الشك كان ثائرًا ضد الظلم الاجتماعي، ولذلك كان حتميًا –في نظره– أن يكون ماركسيًا.

ثم ذكر –كما نقلت سابقًا– في ص: ١٨٤ و١٨٥ في كتابه (رحلتي الفكرية)

أنه بدأ يدرك في أمريكا دور الدين في الواقع المادي، وليس فقط باعتباره غيبًا مغلقًا، على حد تعبيره.

ثم بدأ يتعرف على ما أسماه "التجربة الدينية الإسلامية" ليفهم منطقها الداخلي.

وذكر أنه قابل الحاج مالك الشهباز رحمه الله، وكانت لتلك المقابلة أعمقَ الأثر في نفسه.

وأنه –أي المسيري– لم يكن يعرف الكثير عن الإسلام، إلا ما وصفه بأنه: "ما يعرفه أي مسلم يمارس شعائر عقيدته دون تعمق في الأبعاد الفلسفية والمعرفية".

وأنه بعد قراءة سيرة مالكوم إكس أدرك كما –نقلت عنه– بالنص: "مدى عمق الإسلام فيه كمثالية مجاوزة لعالم المادة، كما أدركت دور الإسلام التثويري التنويري في حياته".

وقد تساءلت –من قبل– كيف غاب عن الدكتور المسيري الدور التغييري الجبار، الذي قام به الإسلام –وما زال يقوم به– في التاريخ البشري، وفي الانتصار للمظلومين والمستضعفين والفقراء، وأنهم أكثر أتباعه، وكيف غاب عنه قول الحق سبحانه: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولةً بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧) للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

وكيف غاب عنه أن سيدنا أبا بكر الصديق ومعه سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رضوان الله عليهم أجمعين، شنوا سلسلة حروب بعد انتقال النبي –صلى الله عليه وسلم– للرفيق الأعلى، ضد من منعوا الزكاة، وقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه– قولته التي خلدها التاريخ:

"والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه"[1].

وصار هذا حكمًا مستقرًا في الفقه الإسلامي؛ أن من منع الزكاة يقاتل عليها حتى يؤديها.

بل بلغ بالمسيري الاستغراق في الماركسية –كما نقد نفسه في ص: ١٣٤ من كتابه: (رحلتي الفكرية)– أنه نهر خطيبته حينما همت بالتصدق على سائل، حتى يشعر بالظلم فيثور، كما هي الاستجابة الجامدة في الفكر الماركسي الفاشل، الذي بشر بحتمية الثورة التاريخية، فانتهى في أحضان الرأسمالية.

كيف نزع هذا الفكر الجامد من قلبه الرحمة على السائل الفقير، مع أنه يبيح لنفسه أن يعيش عيشةً ميسورةً.

وكيف غابت عنه قيم الإسلام في الرحمة بالفقراء، يقول الحق سبحانه: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾، وكيف وصل لهذا الجمود والازدواج السلوكي، لا يعطي الفقير صدقةً بسيطةً، بينما لو احتاج أحد من أسرته للمال لوفره له، أي عقيدة فاشلة هذه؟

ولذلك بدلًا من أن يستجيب الفقراء لأساليبهم في التثوير ثاروا عليهم.

وجميعنا يعلم ثوار الفنادق، الذين كانوا يمضون سهراتهم في أفخم فنادق القاهرة، يتناقشون في مشاكل الكادحين، وقضايا النضال.

ولذلك كفرت بهم وبإلحادهم وبنفاقهم الطبقات العاملة نفسها، وسقطوا سقوطًا ذريعًا على مستوى الفكر والتطبيق، لأنهما يخالفان الفطرة والعقل والحس الإنساني.

وأنا هنا أود أن ألفت انتباه المشاهد الكريم للمقارنة بين شخصية الدكتور المسيري في تلك المرحلة وبين شخصيتين:

الأولى: شخصية الصحفية صافيناز كاظم، التي سافرت لأمريكا لدراسة الأدب سنة ألف وتسعمائة وستين، وكانت يساريةً علمانيةً، ولكنها لم تكن تنكر وجود الخالق سبحانه، وكانت تؤدي بعض الشعائر كالصوم، وقد ذكرت:

"وأثناء وجودي في أمريكا –وكنت ذاهبةً إليها مشبعةً بالتمجيد تجاه الغرب وحضارته الذي تم تلقينه لي على يد الأجيال السابقة علينا– فوجئت بهذا الانحطاط المغلف بحضارة بالقوة، وفوجئت بمن يقول لي أثناء إحدى المناقشات: "أمريكا تستطيع أن تدوس العالم بقدميها وقوتها" وإنني أندهش وأتساءل: لماذا لا تفعل ذلك طالما أن العالم يكرهنا؟

[1] متفق عليه.

وعندما عدت من دراستي هناك –وكانت على نفقتي الخاصة– كتبت: "إننا نظلم أنفسنا عندما نمجد الغرب على حساب تراثنا، وإننا جهلنا عمدًا بحضارتنا".

وعاشت هناك ست سنوات متواصلة، فوجدت هناك جهلًا استعلائيًا تجاه المسلمين والعرب، ثم وجدت أنها تدرس أصول الغربيين الإغريقية، ولا تعرف عن أصولها إلا القليل، فقررت أن تثقف نفسها بالمراجع الإسلامية، وفي أمريكا تعرفت لأول مرة على إنتاج سيد قطب رحمه الله، فقرأت كتابه (العدالة الاجتماعية)، بالإنجليزية، ، وذكرت:

"وأذكر أنني قد قرأت عام ١٩٧١ كتاب الشهيد سيد قطب "في ظلال القرآن"، الذي جاء في ستة مجلدات، فعزز من روحي المنتصرة المكتشفة للذات وللقدرات الخاصة بنا، والتي حاول الكثيرون أن يخفوها ويطمروها بعيدًا عن عيوننا، وأن يسرقونا منها، ويسرقوها منا، لكي نبدو مكسورين مهزومين عميًا وبكمًا وصما في اتجاه منتجات الحضارة الغربية".

الشخصية الثانية: التي أود أن ألفت انتباه المشاهد للمقارنة بينها وبين فكر الدكتور المسيري في تلك المرحلة هي شخصية الحاج مالك الشهباز، وقد أشرت لذلك من قبل، والذي أود أن ألفت النظر له هنا، أن مالك الشهباز رغم مدة إسلامه القصيرة، ورغم اطلاعه القليل على الإسلام، ورغم حفظه لسور قليلة من القرآن الكريم كما ذكر، رغم كل ذلك كان معتزًا بإسلامه، ولذلك لما وقف في منتدى أكسفورد، قال: "أنا مسلم، ديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم".

لقد كان مالك الشهباز يحس بنعمة الإسلام عليه، فقد انتشله من قاع الجريمة والضياع، ورفعه إلى مستوى احترام نفسه، ثم أتم الله عليه نعمته بتعرفه على الإسلام الصحيح.

وإذا كان هناك من ملك الشجاعة من أمثال المسيري ومصطفى محمود وعادل حسين وصافيناز كاظم، ليعترف أنه كان منخدعًا بفكر منحرف، وغافلًا عن أساسيات الإسلام.

فإن هناك االكثيرين الذين لا يملكون هذه الشجاعة، أو الذين لا زالوا منساقين في الانبهار الزائف.

***

– ومن دوافع الإلحاد اقترانه بالقوة المادية، فيصدق في من انبهر بها قانون ابن خلدون –رحمه الله– من ولع المغلوب بمحاكاة الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده.

وقد سقطت الشيوعية بفضل الله، فيمم الملحدون وجوههم لأمريكا وأوروبا، وأسأل الله أن تسقط قريبًا، فإلى أين سيتوجهون؟

***

- ومن دوافع الإلحاد انسداد أفق التغيير، والظن بأن المادية طريق النجاة كما ذكر عادل حسين، فيدخل المنخدع من باب إرادة التغيير، وينتهي للإلحاد، ثم يكتشف الحقيقة ويرجع، إن شاء الله له الهداية.

***

- ومن دوافع الإلحاد التأثر بفساد التعليم والإعلام والأفكار، كما روى الدكتور محمد عباس عن الأستاذ عادل حسين.

***

- ومن دوافع الإلحاد الرغبة في الخلاعة والتفحش، كما ذكر المسيري عن رفاقه في حزب (حدتو).

***

- ومن دوافع الإلحاد المشاكل الأسرية، وبعضها -وأقول بعضها- قد يقع على الملحد فيها ظلم، ثم يصور الظالم له أن عليه أن يرضخ للظلم، لأنه إرادة الله.

***

- ومن أهم دوافع الإلحاد سقوط الرموز.

فقد يتعلق الشباب -خاصةً- برمز من الرموز، ثم تكشف الأحداث عن انهيار هذه القدوة، وسقوطها المبدئي، وتحولها لأداة من أدوات الظلم والفساد.

أو يكتشف أن القيادة قادته للهزيمة بسبب إحجامها وضعفها عن مقاومة الكفر والفساد.

وهناك من الجماعات من ظلت تؤكد لأفرادها أنها ضد العنف، وأن العنف لا يؤدي إلا للخسارة، وأنهم سيصلون لأهدافهم عبر الوسائل السلمية، وأن العنف فقط مع العدو الخارجي، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم- لم يقاتل قومه، وكأنهم لم يقرأوا قول الحق سبحانه عن قوم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهم الكافرون المجرمون، الذين أراد الله سبحانه أن يقطع دابرهم: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾.

ثم غزوة أحد كانت ضد من؟ وغزوة الأحزاب كانت ضد من؟ وغزوة الفتح الأكبر فتح مكة، كانت ضد من؟

أولم يقاتل الصحابة -رضوان الله عليهم- قومهم العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟

أوليس في كتب الفقه باب اسمه (باب الردة)؟ أولم يسمعوا لقول الحق سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

أولم يجمع الفقهاء على أن المرتد أغلظ جرمًا من الكافر الأصلي، أولم يجمعوا على أن الإمام إذا ارتد وجب خلعه وقتاله؟

وظل القادة يؤكدون للأتباع أن سلميتهم أقوى من الرصاص. ووثقت القواعد في القيادات، ثم استغلت قوى الطاغوت تلك السلمية، فحصدت الأبرياء حصدًا، فخرج من صفوفهم من ألحد.

كذلك قد يكون من دوافع فتنة الإلحاد رؤية الأتباع لانتهازية القيادات، حين يرونهم يتساومون مع الطواغيت، ولا يتحركون لنصرة الثائرين على الظلم، الذين يقتلون في الشوارع، ولا يهتزون لمنظر الفتاة المنقبة وهي تسحل في الشارع.

أسأل الله لنا ولهم الهداية.

***

- ومن دوافع الإلحاد عدم الصبر على البلاء والشدة.

يقول الحق سبحانه: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾، وقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.

وقد قص لي صديق مقرب اعتقل ضمن من اعتقلتهم الحكومة المصرية عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين، ووقع عليهم من العذاب والنكال ما أسأل الله أن يجعله في ميزانهم يوم القيامة، أنه كان معهم معتقل ألحد، وكان يقول: لو كان للكون إله لما قبل أن يقع كل هذا الظلم، أو ما معناه.

ومن ذلك أيضًا ما كتبه الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه (النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص) في ص: ٤٦٥:

أنه كان معهم في السجن سنة ألف وتسعمائة وسبعين ميلاديةً معتقل سياسي، قد خرج عن طوره من شدة ما لقي من ظلم، فأقسم ألا يصلي لله ركعةً ما دام عبد الناصر حيًا، فلما بلغهم خبر وفاة عبد الناصر ليلًا، ذهب إليه من أيقظه، وكان نائمًا، فقال له: "قم فصل".

فسأله: والله؟

فقال له: والله.

فقام يجري ليتوضأ يتطاير نعلاه من قدميه من تعجله.

وأقول: سبحانك ربي. ما أحلمك على عبادك.

ومن صور عدم الصبر على البلاء والشدة نشوء الملحد في بيئة تشجعه على التدين وتثني عليه، وتيسره له، فينشأ على التدين السهل، الذي لم يختبر في الابتلاء، فإذا أصابه أو أحاط به البلاء، فزع

وانهار وتزعزعت ثقته، وآثر الهروب من الدين ومن كل ما يتصل به، وتعلل بأنه لا يقتنع بوجود إله، حتى يبرر هروبه من البلاء.

ومن الصور ترك بعض الفتيات لحجابهن لأذى تعرضن له، ثم منهن من تركت الدين كليةً، لما وجدت أن التدين سيحرمها من الثناء السابق، ويعرضها للأذى اللاحق.

وفي المقابل هناك ملايين المسلمات الصابرات المحتسبات المهاجرات المجاهدات، اللاتي يكتبن تاريخ أمتهن نحو النصر بتضحياتهن، وثباتهن ويقينهن، فجزاهن الله عن الإسلام خير الجزاء.

***

- ومن الدوافع للإلحاد النفور من دعوات علماء السوء.

الذين يبررون الظلم والفساد، وأن الحاكم حتى ولو كفر لا يخرج عليه، ولو زنى كل يوم على التلفاز نصف ساعة، فلا شأن لك به.

***

وقد يجتمع أكثر من سبب. أسأل الله لنا وللمسلمين الهداية والعافية، وأن يرد كل ضال ردًا جميلًا، والمعافى يحمد الله. قال الحق سبحانه: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.

***

أنتقل الآن للقسم الثالث من حديثي عن: الأهداف السياسية من نشر الإلحاد بين المسلمين.

وفي هذا الجزء من حديثي سأترك الأمريكان يتكلمون، ليوضحوا أن العلمانيين والملحدين هم حلفاؤهم الطبيعيون في العالم الإسلامي.

وأحيل المشاهد الكريم في هذا الصدد لدراستين هامتين صادرتين عن مؤسسة راند هما (إسلام ديمقراطي مدني) من تصنيف تشريل بينارد، و(بناء شبكات إسلامية معتدلة) تصنيف إنجل راباسا وآخرين.

فتذكر تشريل بينارد الهدف من دعم الملحدين واللادينين الذين تسميهم بالمعتدلين بوضوح في الصفحة التاسعة من المقدمة لكتابها (إسلام ديمقراطي مدني)، فكتبت أن هناك صراعًا داخل العالم الإسلامي:

"وهذا الصراع له تبعات خطيرة وآثار اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية على سائر العالم".

وأضافت:

"وبالتأكيد فإن الولايات المتحدة والعالم الصناعي المعاصر بل -وفي الحقيقة- المجتمع الدولي يفضل عالمًا إسلاميًا متوافقًا مع بقية النظام؛ ديمقراطيًا منتعشًا اقتصاديًا مستقرًا سياسيًا، ويتبع قواعد وأعراف السلوك الدولي".

كما أضافت أن الغرب يسعى إلى منع: "العسكرة المتزايدة عبر العالم الإسلامي بتابعيها؛ عدم الاستقرار والإرهاب.

ولهذا فإنه من الحكمة أن نشجع العناصر داخل التركيبة الإسلامية، التي هي أكثر توافقًا مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، والميالة للديمقراطية والحداثة".

إذن فالمطلوب دعم العناصر المتوافقة فكريًا مع الغرب، حتى يتبع العالم الإسلامي قواعد وأعراف السلوك الدولي، ويصير أكثر توافقًا مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، أي أن يكون تابعًا طيعًا منساقًا مستسلمًا لا يعترض ولا ينتفض، ولا يقاوم سيطرة وهيمنة السادة الكبار والقوى العظمى، أو بعبارة أصرح؛ أن يقبل بعضوية الجمعية العامة للأمم المتحدة، ليكون راضخًا لإرادة الخمسة الكبار، الذين يفرضون عليه ما يشاءون من قرارات، ويلوحون في وجهه بالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

فإن لم يرعو وينزجر، فالجيوش الجرارة، والأساطيل الجبارة، والأسراب الهدارة على أهبة الاستعداد للغزو والقصف والقتل والحرق والتدمير، وخلع الحكومات وتنصيب الحكام الجدد بديمقراطية البي ٥٢ وحرية جوانتانامو وحقوق الإنسان في السجون السرية.

وذكرت تشريل بينارد أنها في حوار لها مع ابن الوراق –وهو اسم مستعار لملحد علني ألف كتابًا بعنوان (لماذا لست مسلمًا) وكتابًا أخر بعنوان (ترك الإسلام: المرتدون يجهرون)، ومؤسس معهد علمنة المجتمع الإسلامي–:

اتفق معها على أن النقد الصريح للإسلام في هذه المرحلة قد لا يكون عمليًا، وأن الأفضل بذل الجهد في تشجيع إسلام ألطف وأسلس ومنزوع الأنياب!

أما إنجل راباسا وزملاؤها فيكتبون أن الأولوية في الدعم في حرب أمريكا الفكرية يجب أن تعطى:

١– للأكاديميين التحرريين والعلمانيين المسلمين. فتأمل التناقض.

٢– ولشباب علماء الدين المعتدلين.

٣– والنشطاء الاجتماعيين.

٤– وللمجموعات النسوية الداعية للمساواة بين الجنسين.

٥– وللصحافيين والكتاب المعتدلين.

وأن الولايات المتحدة يجب أن توفر لهم ظهورًا ومنصات، فيدرجون في برامج زيارات الكونجرس، لكي يتعرفوا على صناع السياسة في أمريكا. كذلك يجب دعم وسائل الإعلام المعتدلة في مواجهة وسائل الإعلام التي يسيطر عليها أعداء الديمقراطية والمحافظون.

ومن الذين تعتبرهم إنجل راباسا وزملاؤها من المسلمين المعتدلين الإيراني مهدي مظفري، الذي كان رائدًا في إصدار بيان (معًا في مواجهة الاستبداد الجديد)؛ دعا فيه في أعقاب الضجة التي أثارتها

الرسوم الكرتونية عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لمواجهة النزعة الإسلامية ونشر المبادئ العلمانية بدلاً منها. ووقع على البيان معه أربعة من الملحدين العلنيين: إيان حرثي الصومالية وابن الوراق وسلمان رشدي وتسليمة نسرين.

ومن المسلمين المعتدلين عندهم أيضًا الممثلة الكوميدية شبانة رحمن الباكستانية الأصل، التي يعجبها أن تظهر على المسرح بالحجاب ثم تنزعه لتكشف عن رداء للسهرة، ثم تبدأ في السخرية من الشريعة. وفي مرة ظهرت على المسرح وبيدها نسخة من القرآن بيد وبيد أخرى شعلة من نار، وتمنت لو استطاعت حرقه.

إذن من يعتبرهم كتاب مؤسسة راند أولى الناس بالدعم هم من يسمونهم بالمسلمين المعتدلين أي الملحدين أعداء الشريعة.

كما تذكر إنجل راباسا وزملاؤها أن:

إنشاء شبكات ومؤسسات مسلمة معتدلة (أي ملحدة) سوف يوفر منصةً لتضخيم رسالة المعتدلين (أي الملحدين)، بالإضافة لتوفير نوع من الحماية ضد العنف والابتزاز.

ولأن المعتدلين لا يملكون الإمكانات لعمل ذلك، فإنهم قد يحتاجون لعامل مساعد خارجي، وأن الولايات المتحدة –بخبرتها الواسعة في دعم شبكات المعتدلين في الحرب الباردة ضد الكتلة الشيوعية– لها دور محوري في تهيئة المناخ للمعتدلين.

وتذكر إنجل راباسا وزملاؤها:

أن بعض من يسمونهم بالمثقفين التحررين المصريين أخبروهم بضرورة أن تساعد الولايات المتحدة في تضخيم الأصوات التحررية، حتى يتعرف عليهم محليًا ودوليًا.

وتذكر وزملاؤها –في هذا السياق–:

تصريح سعد الدين إبراهيم –التي تقر بأن الحكومة الأمريكية قد تدخلت لإخراجه من السجن– الذي يقول فيه: "إنني أقدر كل دعم استلمته".

وكذلك نجيب محفوظ –الذي منح جائزة نوبل لانتقاصه للدين وللذات الإلهية– تساءل: "ما المشكلة إذا كان الأمريكان يريدون أن تكون لنا ديمقراطية؟ أحيانًا قد تتفق مصالحنا".

وأذكر هنا بما نقلته عن الدكتور المسيري في الحلقة الخامسة من هرولة من يسمون بالمثقفين للسفارة الأمريكية لتحمي الديمقراطية، ضد الإرهاب.

وترى إنجل راباسا وزملاؤها:

أن من الدروس المستفادة من الحرب الباردة؛ أن المنظمات التي كانت حكومة الولايات المتحدة تمولها كان يسمح لها بالاختلاف مع سياسات الولايات المتحدة، وأن الكثيرين في حكومة الولايات

المتحدة كانوا يرون أن مصداقية هذه المنظمات وهؤلاء الأشخاص تزداد بإظهار اختلافهم الجذري مع سياسة الولايات المتحدة.

أي أن الأمريكان قد يسمحون لعملائهم من الملحدين بإظهار معاداتهم لأمريكا.

وترى وزملاؤها:

أن من الأفضل أن يتم دعم مؤسسات المعتدلين بصورة غير مباشرة، ولذا فإن دعم تلك المؤسسات عبر مقاولين غير حزبيين ولا حكوميين متعاقدين مع حكومة الولايات المتحدة أفضل من تقديم الدعم مباشرةً لها، حتى لا تظهر الخيوط السياسية التي تربطها.

وتذكر أيضاً وزملاؤها:

أن المساعدة الخارجية موضوع حساس جدًا في العالم الإسلامي، ولذا فإن مفتاح النجاح هو التعامل مع الشركاء الموثوقين مع إبقاء الدعم الخارجي خلف الستار.

إذن هو تحالف أمريكي إلحادي ضد الإسلام والمسلمين، لتكتمل حلقة الحصار، بمهاجمة عقيدتنا الإسلامية، لتتحقق عبوديتنا وتبعيتنا التامة لهم.

***

وفي الختام فإني أتوجه بنصيحة خالصة لكل من تورط في الإلحاد أن يراجع عقله وفطرته، وأن يستفيد من تجارب من سبقوه ثم من الله عليهم بالهداية.

وأن يعلم أنها حياة واحدة، لا رجعة بعدها للدنيا، فإما النجاة وإما الهلاك.

كما أؤكد له أن الله قد وعدنا بالنصر، وقد رأيته بعيني في انتصار الفقراء الضعفاء الأفغان على الملاحدة الروس، ورأيته في داغستان أثناء سجني فيها، ورأيت كيف اندحر الإلحاد الشيوعي شر اندحار، وقد صارت كلمة شيوعي (كمونست) سبةً تعني الشخص الدنيء الحقود، ورأيت كيف غيرت حكومة داغستان اسم أكبر شارع في العاصمة محج قلعه من (كارل ماركس) إلى (الإمام شاميل) رحمه الله.

وفي مرة أخذت لوزارة الاستخبارات للتحقيق، ولما أدخلوني المبنى، وضعوني في غرفة صغيرة للانتظار، وكان يبدو أنها غرفة لحارس مناوب، إذ كان فيها سرير صغير، ولما أغلقوا علي الباب، وجدت على الباب من الداخل صورةً للإمام شاميل رحمه الله، وهو ممتط جواده، وممتشق لسلاحه،

واصدع بما قال الرسول ولا تخف   من قلة الأنصار والأعوان
فالله ناصر دينه وكتابه   والله كاف عبده بأمان
وتعر من ثوبين من يلبسهما   يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه   ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة   زينت بها الأعطاف والكتفان
والحق منصور وممتحن فلا   تعجب فهذي سنة الرحمن
لكنما العقبى لأهل الحق إن   فاتت هنا كانت لدى الديان
وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا   قد جئتكم من مطلع الإيمان
من أرض طيبة من مهاجر أحمد   بالحق والبرهان والتبيان
سافرت في طلب الإله فدلني ال   هادي عليه ومحكم القرآن
مع فطرة الرحمن جل جلاله   وصريح عقلي فاعتلى بنياني
فتوافق الوحي الصريح وفطرة الـ   رحمن والمعقول في إيماني

فقلت في نفسي: الله أكبر انتصرنا، فها هو الإمام شاميل –رحمه الله– لا يزال يقاتل الروس حتى اليوم، وفي عمق أقوى حصونهم وزارة الاستخبارات. رغم أني أثناء التحقيق معي في الاستخبارات رأيت في أكثر من مكتب صورةً للينين، فقلت لعلهم من الضباط الشيوعيين. ولكن الفارق بين الصورتين كان واضحًا، فصورة لينين لا تضر من يضعها، وهي رمز للعهد البائد المنهزم، أما صورة الإمام شاميل رحمه الله، التي أخفاها واضعها خلف الباب، فهي صورة الإسلام المنتصر –بإذن الله– على المادية المنهزمة.

***

إخواني المسلمين إن الأعداء قد تكالبوا علينا فكريًا ودعائيًا وماديًا، وعلينا أن نستعين بالله ونتحد في مواجهتهم على كل جبهة، وأسأله سبحانه أن يرزقنا شكره على نعمة الإسلام والإيمان، وصدق الله العظيم: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طآئفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾.

اللهم اهدنا واهد بنا ويسر الهدى لنا، واجعلنا من الهداة المهتدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.